

ركعتان في العشق

لا يصحّ وضوءهما

إلا بالدم.

"الحلاج"

تحت كل الكلمات

جسدان يتّحدان

وينفصلان.

"يانيس ريتسوس"

قصائد ضالّة

1

فاض ماءُ الجسدُ

في فيافيك

فوق تخوم الأقاليم.

عاطفة غير مفهومة

غالبا لانريد لذلك

معنى مبرّر.

لم تُغادرِكَ منذ الأبدُ

في الرواق المؤدّي

إلى غرفة النوم

تحت حريق الكلام

أمام البنايات

من خشبٍ وصفيحٍ

على صحن فاكهة

في النشيد الصباحي.

تُرى كيف يمكن أنْ

أتحاشى مفاتها

بعدما حوّلتني إلى

حطبٍ قروي!!

مكتو بالصباحات

في أعين الفتيات

أرتق سجادة للندى.

أيها العابر الآن

ثمّة أغنية تتطاير كالنحل

من سهر وحريق.

4

كنت أرقب زهر النساء

لهذا الطفولة كانت

بلا مللٍ!!

في الطريق إلى بيتها

تهدأ الريح في الدرب؛

لكنّ عاصفة داخلي

تشتعل.

6

لا حدود لهذي التعاسة؛

عينان دامعتان

وقلب تخصصه

الأجنحة.

7

عندما تغضبين

المصاييح

في حينّا

تتطفي!!

لأجل بهائك سيّدي

تتوقّف عن شدوها

الطير

والمفردات.

أُتَحَوَّلُ بِالْكَادِ

فَزَّاعَةً لِلطَّيُورِ

إِذَا لَمْ أُحِبَّ!!

تتجمّع بعض

الفراشات حولي

إذا ما صرّخت:

تعال!!

ظماً يقتل الحقل

والماء في جسد امرأة!!

أليس كذلك؛

أنّ هلال القرى

قدّ من فمها!!

حين تحكين للغيم

تمطر هذي السماء

الثمر!!

كلّ هذي البروق

لأنّ يدئ

في يدك!!

إذا لم أكنْ

في جنونك

من أين لي

كلّ هذا اليقين!!؟

كلما تضحكين

تخطف الشمس

من شفتيك

الصدى.

لا يكفّ عن الطيران؛

عندما يتوغّل

كالنسر

بين

فراديسها

أنت من فاجأ القمح

من دون قصدٍ؛

لأنك حشد

من الطير

فوق جدائلها

مذهلٌ وغريبٌ.

وراء النوافذ تمطر؛

لكنّ في الرأس

صحراء قاحلة

كيف أدخل في

جدل مثل هذا؟!!

لأنّ الرياح مرابطة

عند بابك

تطلب مأوى

أجبيك ممتلئاً

بالتناقض.

كيف تكون الحرائق

آخر هذا المطاف؟!!

من الأرض

تصعد أبخرة

في الزوايا الخفية

تذهب في الروح.

هل سوف تأتي

القصيدة؟!!

لأنّ السماوات

هائمة بالمطر

ولأنّ المدينة تجلد

أعضاءها بالسياط

وأنت يطارذك الظلّ

والطير مصلوبة

فوق أغصانها.

كأنّ الهزيمة تختارنا

في الخفاء.

لنبتك إذن!

الكتابة

ليس أرحب منها أحد

الممالك تضحك ملء الجهات

المدينة موبوءة بالخفافيش والأسئلة

الهواجس تغفو على قامتي المشمسة

النساء اصطففن على رجفة الحلم

يضحكن للعابرين

تسترن بالعري

حين تخفّيتُ تحت عصائِبهنَّ..

الطفولة مخبوءة

في غيوم الكتابة..

لا ليس أجمل

منها أحدٌ

ليس

أَجْمَلُ

مِنْهَا

أَحَدٌ.

نواح

كيف توقظ هذي المواجه

تفتح جرح العشيرة تفضح

أسئلة العاشقين.

كأنّ الكلام يدقّ بأوتاره هضبات الخيال

ترعرعتُ بين بساتين أسمائها حين كانت

تعلمني كيف تخضرّ رغبتها في الظلام ستذهب

مثل النوارس تعلو على سنبلات الحقول يدها

سوف تلقي التحيّة تحصد عشب الحريق تدكّ الوجوه

التي تتألق بالشهقات.

هنالك نغسل أعضائنا في الهجير

الأناشيد تلهج مثل قوافل مسعورة.

لست أول من يتعجّل هذا النواح

براريك مأهولة

تمنح الكائنات الهواء

تنسّق زهر العذاب الأليم.

ألست جسوراً لكي تغرق الوقت

قبل انفراطك

بين الجهات.

بعض أسمائها

... تتذكّر أنك في العتمة الآن

وحدك مرتعشاً تجلب الشعر

أنت الذي لم تضق بخطاه المسالك

لكنّ قلبك كان بعيداً

يسير على شارعٍ مثقلٍ بالضجيج..

إذا شئت كن قمراً في الحقائق

أو لغة تتألق من حدقات النساء.

أطلتُ البكاء على جسدي

أنت في العتمة الآن

ضاقت بك الأرض

أم ضقت..؟

سيّان..

لا أبتغي غير أن أستعيد

السكينة فوق الملامح..

يا أيها الشعر

ذو المنزر القرويّ

أجب:

ما يباع بيني وبينك؟

هذا الشقاء

انهمار الخرائب

حمّى الحنين

الرجال المثيرون للدهشة

القلق العائلي؟..

تجيء القصيدة

كان يللم أوراقه

ظل مستوحشاً

وعلى فمه بعض أسمائها

هاهي

الآن

تقبل

من

أورثني

الجنون.

الوردة

قُدَّتْ من الفوضى

ومن مطر الجنون

تسير كالمعنى المعقّر بالصباح.

وحين تنكشف السواقي في الطريق

تخيط لي وجهاً

من الكافور والشجر البعيد

دماً تكدّس في مجازات الصبا.

هل تستطيع تمدّ بعض الفأل لي؟

الغواية

تعلّمنا أن نروّض وحشتنا

في الأقصي

نجرّد أمطارنا..

كالنميمة تبثّ أوتتعالى

إلى نخلة الوسوساتِ

طفلة كالشياطين

يهطل من ثديها

كهرباء الحنين.

ظلّ

كنت أشتاق أن أتوحد فيك

تمدّ بقاياي بالأبدية

في غبطة نتقاسم إفك الحرير.

أنا من يهذب أعضاءه

خلف نافذة لا تمرّ عليها غبار الكآبة

يرشق برق السواحل

يغفو سعيداً بدهشته.

أنت لستَ جديراً بحزنك

حين يقلّب عينيه في العتمات.

أمنُ أجل هذا تشعّ الأصابع

مأهولة بالعراء؟

ارتدتك الهزيمة

هل تتردّد؟

لابأس..

ليس لنا غير ظلّ نلوذ به

تحت قمصانه بهجة الماء

غصن تشرّد في طرقات الحطام

وحيداً ستبقى كطيرٍ توزّعه الشرفات.

على جسدي سوف أنهض

قبل انتصاف الكلام

أعابث ما يتداعى عليّ من الليل

مهما يكن

لم أحنُ أحداً!

لا لأنّي أريد الغناء على

قدم واحدة

أو لأنّ الحنين تبعثر كالتبع.

لستُ سوى

كلمات من الجمر

في

خلوة

خاشعة.

حشدٌ

تمهّل...

لكي يحشد الليل أسماءها

يقتفي زهرها في حقول الحواس

يُعدّ لها قارباً في بحور القصيدة

تصعد للشهوات بأجنحة من ذهب

والنشيد يرتّب أشكاله كالبدور

يقاسمها برتقال الخرافة.

سهواً

سندخل في السلسيل

الأليف.

لاسبيل

لاسبيل إلى الغيم

منسجماً في الدروب

لاسبيل لأنّ يصبح

الجنس ذكرى

مجرّد ذكرى ..

لاسبيل تكون لوحداك

كي تتمايل بين الحشود

لا سبيل إلى الفتيات

يصرن كملك اليمين

لا سبيل إلى شجر

يتعانق والشمس

في حذر كاللصوص

لا سبيل إلى نجمة في الأعلى..

لا سبيل إلى قمر

يترنح خلف البروق

لاسبيل إلى فاتنٍ تتباكى على صدره

لاسبيل إلى نسوة

في المدينة قطّعن أيديهنّ

لاسبيل إلى وجهها

جامحاً كالثرءاء

لاسبيل ..

لاسبيل إليك.

اقتراح

مثلما يذهب السائرون نياما

تحوّلتُ من غير قصدٍ

إلى شاعرٍ؛

من كلام قريب الصدى

غير أنّ الصدى

يتكشف قرب السرير.

اقتُرحتُ سماءَ مهياةٍ للوعيد

شوارع من خيلاء

حديثاً من الشبهات.

بعيداً عن القافلة

كنت أكتب ما يتألق من عتمة

لم يتخ أن أرى المفردات

تمرّ على شرفة البيت

تذرع منعطف الذكريات

تصير المنازل وجهاً لوجه

ويرقصن في اللاشعور.

إذن أنت وحدك

في جنة المنكرات.

فجراً أتوك

هل أنا غير هذا الدم المستقيم

يمارس ضحكته دون ذاكرة.

كخيال النعاس رفاقي

تلمستُ بعض الذي يستبدّ بهم

سائرين على طلقات الغياب

أراقب صورتهم تتكسر من وهج الشمس.

أنت تكابد مشهدهم

في انتظار الرياح

التي تستعيد منازلها.

أيها السالكون

كثيرون مرّوا ولكنني لم أر أحدا مثلهم

لم أجد وشم ساعدهم

أنت تمحو وتكتب في صفحات الغبار.

أرادوا العبور على جسد البحر

بين أواني الزجاج وزيت القناديل.

فجرا أتوك

وما انتبه الحرس الغافلون

من الغيم كانوا يجيئون

رائحة المطر القرويّ

بهم ستعود إلى العتبات

ولن تبقى

منسيّة

كالمنافي.

الشعراء

ما الذي سوف يفعله الشعراء

سوى محض صعلكة؟

البيوت التي تستضيئ بهم

لم تزل في شراييننا

ارتقينا على درج العمر

غالبنا الوجد

- إن الهوى غالب -

يجمعون العذاب وإن أرهقهم ظنون المسير

الترقب كالنار مختبئاً في العيون.

لأنطأطئ هامتنا

لو حفرت خطى الشعراء تراءى

لك الحلم منتصباً كالعقاب

يطارد أسئلة الليل.

تلك الوجوه تنام على سرر الرياح

هل ستجىء غيوم المساواة

أم يصعدون إلى مطر ربما؟

أي شيء سيفضحه الشعراء

سوى سوء الكلمات.

الجنون

صاغه عاشق

من ثياب البحار

تسلّقت الغيم أعشاشه

كان محض عماء

تبدّد أزمنة في ضراوته

شامخا كالكفاف

إلى أين يذهب

أيّ الوجوه يطوف؟

يده الآن تخرج زهر الكوابيس

لا تتمنى سوى شرفات الرفوف.

الموتى

يدخلون إلى عالمٍ تتشظى مفاتنه

حولهم من خطوط الشمس

مهاجع تخفق كالشمعدان

هناك فقط

في افتتاح الإقامة

يغدو الكلام دماً واضحاً

في قميص القصيدة.

سفر

سفرٌ مثقلٌ ودمٌ لا يغالط صاحبه

مثل نجمٍ يشمّ المنازل

من خلفها سعف النخل

يسترجع الآن رؤيا الكتابة

تعشب كالتمتمات

ترمم وعثاءنا فوق حبل الغسيل.

كأن لم يكن غير هذا الهباء المعتق

مثل الصدى قد يجيءُ.

كمن يهمز الريح

عُضَّ على مستهلَّ الغناء

لن ترى غير وجه المؤلف

مستسلماً للهباء.

هُنَّ

استطعن إعادته

إلى فهرس باردٍ

مثل فاصلة

يتوسطن معجمه.

لم يجد مايقول

حين يصنطدن

أسماءه..

اللواتي تحاشين

في حضرة الريح

تفريغ ما زاد عن رجسهنّ

اشتبهنَ به

عندما كان يفتح شرفته

للرواة.

الموالون

الموالون لي يخرجون

إذن لن أبوح بما يعتريهم

ورائي القبيلة

كلّ المنازل - عارية الصدر-

تغلق أبوابها.

البراهين تكذب دون موارد

كيف لي أن أعود إلى حيث كنت ؟

فطوبى لهم..

ليس للوقت رائحة

بين مبخرة العمر

مقرونة بالهزائم روي

المساءات تمكربي

يتباهى بي الموت...

كنتُ أشبُّ على حكمة لا تُسامح

تأخذني تارة لخلاء العيون

وأخرى لأسئلة كالعصافير

تعرج بي للظنون.

الموالون لي

يرسمون الملاذ الأخير لهم

ثم لا يرجعون.

شهوة طارئة

لا تخف..

تستطيع البقاء كجذعٍ يميل

مع الريح في شجر العائلة

وصلتك الكوابيس بالكلمات؛

هناك تنشد آخر ما قد يمرّ عليك

تشكّله في فضاءٍ أنيقٍ.

لذا لم تعد تشعل الجمر

في حطب الرغبات

لأنّنى مراهرة يدها عشبة.

حان وقتٌ ستمضي وحيداً إلى الضوء.

لابدّ من جسدٍ لو نمتُ في يديك

المرارات أو شهوة طارئة

سيكون الحديث هواجس عارية

تتساقط تحت لحاف الجنون

لماذا تهلّ هذي السخافات

حين تخبّئ أمطارها في القصيدة

حينئذٍ أتجلّى وخلفي هبوب الرياح

وسيدة من بلاد

بعيدة.

شعاع

شعاعٌ تسلل بين الممرّات

يدخل غرفته

ثم يجلس فوق الأريكة

يعبر ساقيه

من قرية في البعيد

تدقق مثل الحريق.

شعاع بدا..

لم أر مطلقاً مثله

أيّ دربٍ سيخلع عنه قميص الظلام؟

كمن سوف يحصي شواهد

يتنزّه في وسط الدار

من سيرافقه في الشوارع؟

خلقُ كثيرٌ جاؤوا

أهالوا عليه التراب

فصار الشعاع غبارا.

محاولة

سأحاول أنفض خيبة روعي

لكي تتخفّ من حملها؛

السحاب الذي يتشكّل في راحتيك

سيعرف أنك لست بهذا البهاء

الفصول ستخرج قبل المواسم

ذاهلة ثمّ تلقي بجثتها في الطريق.

تأخرت...

عانتُ من البرد وروحك

تبني قصورا من الرمل

ثمّ تعود وتنوي عليها الخراب..

أرى الصوت يصعد في غفلة

من هوامش حكمته

تجلب الحظ للفقراء

وروحك متخمة بالعواء

مبلة دائمة بالبحيم

يؤرقها أن تعدّ رثاءك في هلعٍ

ثمّ ترحل كالشهداء.

أحبّ أيّ موت تريد؟

وأيّ النشيد سيلمع

فوق سرير الجنازة؟

فلتكن النار

توقد جمر الأغاني

تظهر أسرارِي الأبدية

في لحظة واحدة.

نزوات

سوف تندلق النزوات كثيرا

تظلّ تراو غنا.

هل سنحفر قبرا للأسرارها

ثمّ نختار من أيّ نافذة

يخرج الخائنون؟

سنسهر

نرقب أنفاسها وهي تخرج

كالسهم في ساعة واحدة

مِنْ هُنا أَوْ هُناكَ

ستبقى تعلمنا كيف نستقبل الغرباء

كيف يمكننا النوم دون حبوب مسكّنة؟

الخطى تتراجع

حاولتُ أن أتبيّن وجهي

المعلّق في أعين الواقفين

دمٌ كرفيف الجناح

يلامس أكتافهم

يا لهذا الدم المتصنّم في هيبة!!

لم أجدُ أحداً تحت قوس الضحى.

آه لو أنني كنت أجمل!!

لكنني لم أزلُ أرهف السمع للكلمات

تقود الضرير إلى بلدةٍ نام ساداتها

تتلمّس عشب بصيرتهم ثمّ

تستدرج الشعراء إلى غفوة

في سرير البياض.

مصيصة

ما الذي يتوهج بين المسافة؟

يا رجلا نصبتة الخرائب سيدها

تتنزه في خاطر الليل

هل ترجع البحر عن مده المتباعد؟

أجثو أمامك

لا أتحسب للنار بين المواقف

أسأل عن طرق تستبيح الضلالة؟

عن قمر يتسلل من زرقة تتلعثم

يعبر أضرحة تتجاور من غير قصدٍ .

كأنّ المساء سيسقط في ورق القات!!

كيف تضيء الرتابة في النصّ

تخرج لاهثة خلف حشد العصافير.

في الصبح.

ثَمّة مصيدة تتربص بالقلب والدرب

هل يحدث العكس

ياشاعرا ليس يملك إلا الكلام.

الكرسي

غالباً ما يكون التشنّج

شاغله

ليس رغبته البقاء هنا

حين يدخل في غرفة

من ممّر عتيق

يعود يجاور عزلته.

هكذا

يتكوّم دون مناسبة.

حين تلهث أقدامه

مثل شطر القصيدة

يخرج من ظلّه

كالغريب.

أنت

باردٌ أنت

كالهذيان المشرّد

تمتدّ في فلوات العيون

تدمدم في لغة

تتخلّق كالكائنات.

صلاتك للبحر يترك خلوته

لانتِ الريح

تفتح نافذة للهوا جس

تسرج ليل المواويل

هل غسلتك التباريح من دنس الطين

أنت دم ساخن في عروق المجاز

قصائد إيقاعها الصولجان.

صورة

وتحفّ مناماته

صورة تحمل الليل أنية

أجّبت خشب الروح

رغم الظلام الذي يتخطّى الحواجز

- أقصد حاجز وحشته -

تتأمل في خفة طائرا

يتمترس خلف العروق.

التي أنهك الطين تاريخها

يتصالح فوق حافظها

شجرٌ كالنعاس؛

شجرٌ دهمته

الرؤى الآثمة.

الضجيج

حينما أوصد الباب

أذهب في خلوات النعاس

الرؤى تتكوّم فوق السرير

كما العشب مستبسلاً

في الحقول.

أطاحت بي الكلمات

هي الآن تبصرني

أُتدحرج في الجمل العربية

أُخشى المرور أمام السلاطين.

لكنني سوف أشحذ هذي الأصابع

في جسدي طرق للشياطين والشعراء

الضجيج الذي يسكن الرأس

يمضي بصوت خفيضٍ

على مهل يتسلّل كالخيلاء

يجوب المسالك

يصنع تاريخه دونما وجل.

سأهزّ الممالك

حصن البلاغة

طين الجناس

أواصل حرث الكلام.

أليس الفلاحة حرفتنا في القرى؟

نحرث الأفق

كي نبصر الشمس

تنبت في حجر

المفردات.

أول النصّ

خانني أول النصّ

حيث العناوين مذعورة

تحمل النار في هودج

تتعثر أقدامها بالمديح.

ارتجل بالذي سوف يبهج روحك

إن الأزقة مكتظة بالحرام

أسميك أسطورةً

حجراً يسند الطفل

في جانبك.

عبرتَ بفيض اليقين

الذي يتقدّم أقصى جنونك

لا تستهن بالكلام النحاسيّ

لم يبق غير الظلام المراوغ

ينبت في برزخ الذاكرة.

نجمة أنت أطفأتها

حيث لا أحد من سلاّات حنطتها.

حرفك المترنّح لا يكثرث للنشيج

ينوح بأسرارهِ

مثلما تفضح البحرَ زرقته.

في الظهيراتِ

نصّك يمشي على وجهه آثماً

لا عليك ..

سيهبط كالسيل

في حكمة سافرة.

غدا صباح السبت

تغفو قليلا

ثم يشتعل المساء

غدا صباح السبت

هل أجد البهاء العذب؟

ينعقد التصالح بين أسئلتى وبينى؟

نحن خصمان اختصمنا

صرخة أطلقناها

تحصي فراغ الليل

تذهب للغياب.

متى يكفّ البحر عن أحزانه؟

ويكفّ هذا الوقت

يصحبني إلى ما لا أريدُ..

يداك ترتعشان

من برد ومن سهرٍ

كطير يذرع الآفاق

نم أرجوك يا جسدي

ودعني للعذاب

أطارد السأم الذي يأتي ويذهب

حاملا خيباته

ما أضيق الأوقات..

ها قد صرْتُ ملتبسًا

أرتّب هاجسي وحدي

وأخفي شهقة الكلمات

وهي تهّم بالإثم النبيل..

غدا صباح السبت

ماذا قد تبقى كي تنام؟

أدسّ في جيبي

الإجابة والسؤال.